الخليلُ بْنُ أحمَد ومنهجُهُ فِي المنظومةِ النَّحويةِ المنسُوبةِ إليهِ

Al-Khalil Ibn Ahmed and his Approach in his Presumably Grammatical System

الدكتور: لحبيب اعبلله[1]

Dr : Lahbib ABELLAH

[1] جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، lahbibabellah@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2020/06/14	تاريخ القبول: 2021/01/03	تاريخ النشر: 2021/01/28

الملخص

يتناولُ هذَا البحثُ ظاهرةً جديدةً في النحو، تتمثَّل فِي جمعِ أبواب النَّحوِ المتناثرَة في الكتب للنَّاشئةِ منْ طلبةِ العلمِ؛ بِتَقْدِيمِهَا فِي قَالَبٍ منظُومٍ لأنَّ المنظومَ أسهلُ حفظًا مِنَ المنثُورِ.ولعَلَّ سببَ شُيوعِ مُصطلحِ (النَّظمِ) فِي التُّراثِ العربي يَرجعُ إلى اتِّسامِ مَوْضُوعاتِ هذا النَّوْعِ مِنَ الشِّعرِ بالطَّابع السَّردِي الجافِّ، لأنَّه لايحملُ من مُقَوِّمات القَصِيد مِن حيثُ البناءُ الشِّعري إلَّا الوزن والقَافية، فهوَ نقيضُ الشِّعرِ الغنائِي المتوهِّجِ عاطفةً والمتدفِّقِ حرارةً؛ وقد أدرك الخليلُ – أستاذُ سِيبويه – قبلَ غيرِهِ أهميةَ النَّظمِ ودَوْرَهُ في تَيْسِيرِ النَّحوِ، فكان له السبقُ – دائما – في النَّحوِ التَّعليمِي، وفِي وضعِ علمِ العَروضِ، والتَّأْسِيسِ للدِّراساتِ المُعجميةِ والصَّوتيةِ فِي عَصْرِهِ.

الكلمات مفتاحية: منهج، نحو تعليمي، منظومة، نظم، متعلّم.

Al-Khalil Ibn Ahmed and his Approach in his Presumably Grammatical System

Abstract:

The paper deals with a new phenomenon in Grammar, which is about a collection of different grammar chapters that are found in books devoted to the upcoming students. It was presented in poetic model because it is easier to learn by heart than in texts. Perhaps it is behind the widespread of the term (Educational poetry) in Arabic heritage. This type of poem is characterized as a narration, for it does not have the same characteristics of the poem construction in terms of size and rhythm. It is contradictory to the lyrics which is full of glowing sentiments. Al Khalil, the teacher of Sibawih, realized the importance of constructing poems to facilitate grammar. He was always the first in teaching grammar, in setting up the rule of poetics, and in setting up lexicography and the sound studies in his age.

Key words: : Approach. Cognitive Grammar. Systems. Learner. Alkhalil.

المؤلف المرسل[1] : د.لحبيب اعبلله، **الإيميل:** lahbibabellah@gmail.com

1.مقدمة:

إنّ العربيَّ قديماً لمَ يَكنْ فِي حاجةٍ إلى دراسة لغته، لأنه كان يعتمدُ على المسموع، وعلى المُشافهة في التَّواصل، ولأنّ الكتابةَ لمَ تلقَ رواجاً كرواج الشّعر، ولم يكنِ العربي يتلكَّأ أو يلُوك لسَانه أثناءَ الحديث، بل كان هو المعجم الذي كانتْ تُشَقُّ الفيَافِي وُصُولا إليه؛ أثناء الرِّحْلةِ إلى الباديةِ بحثا عَنْ غريب لُغةِ العربِ. وكان المنظومُ أُنْسَهَ في حِلّه وترِحاله، بل حتى إنَّ ناقته كانت تَستأنسُ بحُدائه، وتشقُّ البَوادي دُون كلَل أو ملَل.

وقدْ ظَهرتِ المنظوماتُ اللُّغويةُ في زمَنٍ فَسدتْ فيه الألسِنَةُ، وراجتْ فيه العُجمةُ، بل وَانتشر خطرُها، وتجلَّى في المَنطقِ خطَلُها وخَلَلُها.

وقدْ شَعر الطَّبيبُ الأوَّلُ الخليلُ بن أحمدَ الفَراهيدي بخُطورة هذا الدَّاءِ المستفحَلِ الذي أضْحى ينتشِر انتِشارَ النَّارِ في الهشِيم، فألَّف منظومةً في النَّحو تَحفظُ الألسنَة، وتكُون قَانونا يسِير وِفقَه كلُّ مَنْ يُريد تعلُّمَ العربيةَ السَّليمةَ الفَصيحَة، بَعدما ظَهرتْ ربيباتُها في وطن الإسلام والعُروبة، فأضحَى نحوُ العربية عِلمًا كسائر العُلوم الأخرى، وأُلِّفتْ فيه منظوماتٌ منذُ أيَّامِ الخليل إلى عصرِنا الحديث.

وسأتناول في هذا المقالِ منظومةَ الخليلِ بْنِ أحمدَ الفراهيدي دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور أحمد عفيفي، والتي يُشَكِّكُ بعضُ الدارسين في نِسْبتها إلى الخليل، مركِّزًا على منهجِ الخليل في منظومته من خلال ماتوصَّلَ إليه المُحَقِّقُ مُوضِّحًا ومُعَقبا، مُحاوِلًا الإجابةَ على التساؤلات التالية :

- مَنْ هو الخليلُ بن أحمد ؟
- ماهو المنهجُ الذي اتَّبَعَهُ في قصيدتِهِ النحوية ؟
- وماهي مكانتهُ بين علماءِ النحو واللُّغَةِ ؟

2. الخليل بن أحمد الفراهيدي:

1.2 ترجمتـه:

أبو عَبْدِ الرَّحمن الخليل بن أحمد الفَرْهُودي، وهُو مِنَ الفَرَاهيد مَنَ الأزد، أخبرنا المبرِّد قال: قال رجل للخليلِ بن أحمد: من أيِّ العرب أنت؟ فقال: فَرَاهِيدِيٌّ، ثُمَّ سَأَلَهُ آَخَرُ فَقَالَ: فَرْهُودِي.

قال المبرِّد: قوله « فراهيدي » أَنْتَسِبُ إِلَى فَرَاهِيدَ بْنِ مَالِك بْنِ فَهْم بْنِ عَبْدِ الله بْنِ مَالِك بْنِ نَصْرِبْن الأزد: وَكَانَ مِنْ أَنْفَسِهم، صَحِيحَ النَّسَبِ، مَعْرُوفَ الأَهْلِ.

وقوله: «فرهودي »، أَنْتَسِبُ إِلَى وَاحِدِ الفَرَاهِيد، وهو فُرْهُود، والفَرَاهِيدُ صِغَارُ الغَنَمِ (الفيرُوزآبادي مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب،2001 م، ص 76).

وكان أبو حاتم يقول: الخليلُ بْنُ أحمدَ الفُرْهُودِيُّ، مِنَ الفَرَاهِيدِ منَ اليمنِ، واسم الرَّجُلِ عندَهُ فُرْهُودُ بنُ مَالِك، وكان يذهبُ إلى أنَّ الفَرَاهيد جمع؛ مثْلُ قَوْلِهِم: الجعَافِرة، وَالمهَالبة، والجمع لايُنْسَبُ إليه، تَقُول:

هَذَا رَجلٌ مِنَ الجعَافِرة ومِنَ المهَالِبة، ولايُقال: جَعَافِريٌّ ولا مَهَالِبِيٌّ (أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، 2002م، ص 45.).

وُلِدَ سنةَ مِئة هجريَّة (100هـ) وقد عاشَ فِي زمن الاحتجاجِ خمسين (50) سنةً، إلا أنَّ النَّحويين لم يأخذُوا بِلُغَةِ قومه فِي التَّقْعِيدِ اللغوي، « بل وقع اختيارُهُم على لَهْجَاتِ قبائلَ مُعَيَّنَةٍ حدَّدَتْهَا عَوَامِلُ جُغْرَافِيَّةٌ خاصَّةٌ أهَمُّهَا قربُ هذهِ القبائلِ إلى البصرةِ، وسُهُولة الرِّحْلَةِ إليهَا والرُّجُوعِ مِنْهَا على الرُّوَاةِ وأصحابِ الأخبارِ واللُّغَةِ (تَمَّام حَسَّان ، 2006 م، ص 83.) ».

وقال أبو نَصر الفَارَابِي فِي أَوَّلِ كتابه المسَمَّى« الألفاظ والحروف: « كَانت قُرَيشٌ أجودَ العربِ انتقادا (النقد والانتقاد: السيوطي، ص211. ينظر الإحالات ، التعليق رقم 1) والذين عنهم نُقِلَتِ العربِيَّةُ، وبِهِمُ أُقْتُدِيَ، وعنهمْ أُخِذَ اللِّسَانُ العربِيُّ مِنْ بَيْنِ قبائلِ العَرَبِ هُمْ: قَيْس، وتَمِيم، وأسَد (السُّيُوطي، 1998 م، ص 13– 14)؛ فإنَّ هَؤُلاءِ همُ الذِينَ عَنْهُم أكثرُ ما أُخِذَ ومُعْظَمُهُ، وعليهم أُتُّكِلَ فِي الغَرِيبِ، وفِي الإعرابِ وَالتَّصْرِيفِ. ثم هُذَيْل وبعضُ الطَّائيين؛ وَلَمْ يُؤخذْ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائرِ قَبَائِلِهِمْ (السيوطي ، ص211.)».

وقد رحلَ الخليلُ إلى بَوَادِي نَجْد والحجاز وتِهَامة (بلحبيب رشيد، 1412 هـ، ع 2.) ، و شافَهَ الأعراب وشَرِبَ مِنْ معينِ لُغتهم الصَّافِي فأضحى بفضل موهبتِهِ وتأييد الله منْ عُلماء اللُّغةِ.

من تصانيفه: كتابُ العَين في النَّحْوِ واللُّغَةِ، كتاب الإيقاع، كتاب الشَّواهد، كتاب العَرُوض، كتاب النَّظم، كتاب النَّقْط والشَّكل (حاجي خليفة، 1982م، مج350/5.).

قال السِّيرافي: « كان الغايةَ في استخراجِ مسائل النَّحْوِ وتصحيح القيَّاسِ فيه، وهو أَوَّلُ مَنِ اسْتَخْرَجَ العَرُوض، وحصر أشعارَ العرب بِهَا، وعمل أَوَّلَ كتاب العين المعروف المشهُور الذي به يتهَيَّأُ ضبط اللغة ». وقيل كَمَّلَهُ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْل، وَقِيلَ:« أراد اللَّيْثُ بْنُ نَصْرٍ إِتْمَامَهُ، فسمَّى لِسانَه الخليل، فإذا قال: أَخْبرنِي الخليلُ، أراد به الخليلَ بْنَ أَحْمَدَ. وَإذا قال: قال الخليلُ، فإنَّهُ يَعْنِي لِسَانَهُ، فجاءَ فِي الكِتَابِ خَلَلٌ لذلك »(الفيرُوزآبادي مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب، 2001 م، ص 76، أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، ص 47).

2.2 ثقافتهُ وأخلاقه وسَمْتُهُ:

شَغل الخليل النَّاسَ بخُلقه وعلْمه وتراثه الذي تركَهُ على مدى خمسة وسبعين عاماً منذ الهجرة إلى وفاته عام خمسة وسبعين ومائة (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص:17)، وكان – مِنَ الزُّهاد في الدنيا– يحجُّ سنة ويغزو سنة حتى جاءه الموتُ،ومن المنْقَطِعِينَ إلى العلم يَمْتَنِعُ عن هَدَايا الملُوكِ؛ وكان قوتُه مِنْ بُستان ورثه مِنْ أبيه بالخريبة (أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، ص: 46.).

ومنْ حكايات زُهده وعفاف نفسه أنَّ سُليمانُ بن علي قد وجَّه إليه من الأهواز– وكان واليها – يلتمسُ منه الشُّخوص إليه وتأديب أولاده، فأخرجَ الخليل إلى رسوله خُبزا يابسا. وقال: ما عندي غيره، ومادُمت أجده فلا حاجة لي فِي سليمانَ، فقال الرسول: فماذا أبلِّغُهُ عنك ؟

فأنشأ يقول [من البسيط] (السيوطي، 2005م، ص: 450):

أَبْلِغْ سليمانَ أَنِّي عَنْكَ فِي سَعَةٍ وَفِي غِنًى غيرَ أَنِّي لستُ ذَا مَال

سَخِيٌّ بنفسي أَنِّي لا أَرَى أحدًا يمُوت هزلا ولا يَبْقَى على حَال

فقد كان من أذكياء التَّاريخ، وعباقرة العلماء، صنع للعربيَّة كثيرا, وآتاها ما لم يُوتَها أحدٌ منَ العُلماء، وكانتْ له معرفةٌ بالإيقاع والنَّظم، وهو الذي أَحْدَث لهُ علم العَروض، فإنَّهُمَا متقاربان فِي المأخذ. وقيل مر بالصفارين، فأخذه مِنْ وقْعِ مِطْرقة على طَسْتٍ (الذهبي، 2004 م، ص 143) ويقال: « إنه تعَلَّقَ بأسْتَارِ الكَعْبَةِ، وقال: اللَّهُمَّ ارزقْنِي علمًا لمَ يَسْبِقْنِي إليه الأوَّلُون، ولا يأخُذُهُ إلا عَنِّي الآخِرُون» ثُمَّ رجع وعمِلَ العَرُوض(الذهبي، 2004 م، ص 48)، وخرج به إلى الناس علمًا كاملا، فضبط به الشِّعرَ العربِيَّ وحفظه من الاخْتِلال...وابتكر طريقةً أحصى بِهَا مُفرداتِ اللُّغَةِ وميّز بِهَا المهمَلَ مِنَ المستعملِ، ثُمَّ دَوَّن على هُداهَا مُعْجَمَ العَيْنِ » (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص: 18.)

وهو أُسْتَاذُ سيبويه (ت180هـ)، وعامَّةُ الحكاية في كتابه عنْهُ؛ وكلُّ ما قَالَهُ.

قال سِيبويه: « وسألته »، أو « قال» مِنْ غير أنْ يذكُر قائله، فهو الخليلُ »(السيوطي ،2005 م، ص 451).

وقال غيره: روى عن أيُّوب وعاصم الأحوال وغيرهما، وأخذ عنهُ سيبويه، والنَّضْر بنُ شُمَيل (ت 204 هـ) وأبو مُفيد السدوسي(ت 195 هـ)، وعلي بْنُ نَصْر الجهضمي، والأصمعي (ت217 هـ)، والليث بن المظفَّر، وأبو مُحَمَّد اليَزيدي (ت202) (الفيروزآبادي ،2001،ص : 76 ، الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 19).

وقال النَّضر بن شُمَيل:« أقام الخليلُ في خُصٍّ بالبصرة لا يقدِرُ على فِلسين وتلامذتُه يكسبون بعلمِه الأموال ». وكان كثيرا ماينشد (الذهبي، 2004 م، ص 143): [الكامل]:

وإذا افتقرتَ إلى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدِ ذُخْرًا يكونُ كصالِحِ الأعمالِ

وكان النَّأس يَقُولُون:« لم يكنْ فِي العَرَبِيَّةِ بعدُ الصَّحَابة أذكى منه وكان يحجُّ سنة، ويغْزُو سنةً »

وهو أوَّلُ منْ جمع حُرُوف المُعجم فِي بيتٍ واحد وهو [من البسيط]:

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كمِثلِ الشَّمْسِ إذْ بَزَغَتْ يَحْظَى الضَّجِيعُ بِها نَجْلاءُ مِعطارُ

مِنْ أَقْوَالِهِ وَحِكَمِه:« أكملُ مايَكُونُ الإ نْسَانَ عَقْلا وَذِهْنًا عِنْدَ الأرْبَعِينَ ».

وقال: « الرجالُ أربعةٌ رجلٌ يدري و يدري أنَّهُ يدري؛ فذاكَ عالم فاتَّبِعُوه ، ورجل يَدْرِي ولايدري أَنَّهُ يدري؛ فذاك غافلٌ فنبِّهوه، ورجلا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لا يَدْرِي؛ فذاك جاهلٌ فعلِّموه، ورجلٌ لا يَدْرِي ولا يدري أَنَّهُ لا

يدري؛ فذاك مائقٌ (المائق: ، الفيروزآبادي،[موق]، ، ص 832) فاحذَروه» (الحموي ياقوت، 1993، ص 1264، ينظر الإحالات، التعليق رقم 2).

وعنه قال:« لايَعْرِفُ الرَّجُلُ خَطَأَ مُعَلِّمِهِ، حتَّى يُجَالِسَ غيره، وهذا دليلٌ عَلَى كَثْرَةِ شُيُوخِهِ » (الذهبي، 2004 م، ص 143).

3. منظومته:

1.3 – نسبة المنظومة إلى الخليل:

أشار الباحثُ عبدالله بن عويقل في مقاله الموسوم بـ :(المتون والشروح والحواشي والتقريرات في التأليف النحوي) إلى أَنَّ« أقدم منظومة في النحو تُعزى للخليل بن أحمدَ الفراهيدي المتوفى سنة (170هـ)، قال خلف الأحمر المتوفى سنة (180هـ): وحروف النسق خمسة وتسمى حروف العطف، وقد ذكرها الخليلُ بن أحمدَ في قصيدته في النحو»:(عبد الله بن عويقل ، ع 4، 1420 هـ، ص: 251)

فانسُقْ وَصِلْ بالوَاوِ قَوْلك كلهُ وبلا وثم وأو فليست تَصعُبُ

الفـاءُ ناسقةٌ كذلك عِـنْدنـَا وسبيلُهَا رحبُ المذاهبِ مُشْعبُ

وقد شكَّكَ الباحثُ عِز الدين التنُوخي مُحَقِّقُ مقدمة فِي النحو لخَلف الأحمر في نسبة هذهِ القصيدة النحوية للخليل، بقوله:« والمتقدِّمُون منَ النحاة ومنهمُ الخليل – إن صحَّتْ أن له قصيدةً نحوية – كانوا يستعملون النسقَ والعطف معًا ...»(خلف بن حيان، 1961 م، ص: 85) .

ولقد أشار الباحثُ الدكتور محمد جمال صقر في مقاله الموسوم بـ : « المنظومات النحوية العُمَانية بين المنظومات النحوية تَأْرِيخٌ ونقدُ إلى أنَّ أقدمَ منظومةٍ نحويةٍ هي: منظومة الخليل بن أحمد (ت 175 هـ) ».(محمد جمال صقر، ع 17/16، 2009 ،ص: 82 – 88).

والمسألةُ تحتاج إلى مَزيد منَ البحث والاستقصاء، حتى تُنْسَبَ هذه المنظومةُ النحوية إلى الخليل بنِ أحمدَ ، فتسمَّى منظومةَ الخليل ، كملحةِ الحريري ، وألفية ابن معط ، وألفية ابن مالك .

2.3: التعريف بالمنظومة :

تُعَدُّ قصيدةُ الخليل بن أحمد – كما سمَّاها صاحبها – أقدمَ منظومة في النحو، ثم تتابعت بعدها المتونُ المنظومةُ، لكنها لم تشتهرْ بين طلبةِ النحو كألفية ابنِ مالك، وملحةِ الحريري .

جاءتْ مَنْظُومَةُ الخليلُ النَّحوية فِي(293) بيتا من النَّظم الذي اقتربَ مِنَ الشِّعر فِي لُغَتِهِ الرَّقِيقة، صاغَهَا الخليل على وزن عروضِيٍّ يسمى "بحر الكامل التام"، الصَّحيح العَروض والضرب، تَفْعِيلات هذا الوزن تأتي على الصُّورة التَّاليَّة:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

ضمّت الكثير من أبواب النَّحو العَرَبِي وتركتِ القليلَ مِنْهَا.

3.3 – أقسام المنظومة :

تنقسمُ إلى: مقدمة، وموضوع، وخاتمة.

* **المقدمة:** وتتكون من (26) ستة وعشرين بيتا ، بدأها بحمد الله تعالى، والسَّلام على نبيه محمد – عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد جاءت مُقدِّمتها تَمْهِيدا للقارئ وتوطئة نفسِيَّة له بدلا من الدُّخول إلى النَّحو مباشرة، يَقُول فِي أوّلها(الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 32):

الحمــدُ لله الحمِيــد بِمنّــه أولـى أفضـلُ مَـا ابتـدأت وَأَوْجَـب

حَمْدًا يكونُ مُبْلِغِي رِضْوَانِهِ وبــهِ أَصِـيرُ إلـى النَّجَـاةِ وأقـربُ

وَعَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مِنْ رَبِّهِ صَــلَوَاتِهِ وســلام رَبِّــي الأطيــبِ

إِنِّي نَظَمْتُ قَصِيدَةً حَبّرتُهَا فِيهَــا كــلامٌ مُوَنَّــقٌ وَتَــأَدُّبُ

لِذَوِي المرُوءَةِ والعقُول وَلَمْ أَكُنْ إلا إِلَــى أَمْثَــالِهِمْ أتقــرّب

عربيةً لا عيبَ فِي أَبْيَاتِهَا مِثْـلَ القَنَـاةِ أُقِـيمَ فِيهَـا الأكعَـبُ

تَزْهُو بِهَا الفَصْحَاءُ عِنْدَ نَشِيدِهَا عَجَبًـا ويطـرقُ عِنْـدَهَا المتـأدِّبُ

إلى أن وصل إلى نِهَاية المقدِّمَةِ وبداية الموضوع النَّحوي الأول قائلا:

فــإذا نطقــت فــلا تكــنْ لحّانــةً فيظــل يســخَرُ مــنْ كلامِــك مُعْــرِبُ

النَّحْــوُ رفــعٌ فــي الكــلام وبعضُــه خفـضٌ وبعـض فِـي الـتَّكَلُّمِ يُنْصَـبُ

- الموضوع : استمرَّ الخليلُ فِي مُعَالجة كثيرٍ مِنَ الأبوابِ النَّحويةِ، كباب رفع الاثنين ،وباب حروف الجر ، وباب الفاعل والمفعول، وباب حروف الرفع ، وباب ترى وظننت وخلت

وحسبت ،وباب حروف كان وأخواتها ، وباب حروف إنَّ وأخواتها ، وغيرها من الأبواب النحوية.(الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص :188 – 196) حتَّى وصلَ إلى نِهَاية المنظُومةِ .

- وختمهَا بقوله:

النَّحْوُ بحرٌ ليسَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَعْرُ السَّبِيلِ عُيُونُهُ لا تَنْضُبُ

فَاقصِدْ إذا ما عُمْتَ في آذيّه فَالقَصْدُ أبلغُ فِي الأمُورِ وَأَذْرَبُ

وَاسْتَغْنِ أنتَ بِبَعضِهِ عَنْ بَعْضِهِ وَصُن الذِي علمت لا يتشذَّبُ

(الشيء **الذّرِبُ** : الرّازي، 1414هـ، ص 268. ينظر الإحالات، التعليق رقم 3)

(**الشّذْبُ**: الرّازي، 1414هـ، ص 402. ينظر الإحالات، التعليق رقم 4)

وبين المقدِّمة والنِّهاية عالج أمورا نحويَّةً كثيرة بأسلوبٍ يَتَّسِمُ بالسُّهولة والابتعاد عنِ التَّعقيدِ، والجدَلِ النَّحوي (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 33)

وفي النهاية يُوَجِّهُ الخليلُ نصائحه إلى متعلِّمي النَّحْوِ ، قائلا:

- إنَّ النَّحْوَ بَحْرٌ عميق لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وعر المسالك، عيونه تفيض بغزارة، مشيرا إلى المسائل الخلافية في النحو والتعليلات .
- على متعلم النحو أن يَقْتَصِدَ، وأن يأخذَ منه بحذر لأنَّ الإفراط في معرفة أصوله وفروعه له نتائجُ وخيمةٌ على مَنْ لمَ يَتَسَلَّحْ للدخول إليه.
- وعَلَى المتعلِّمِ أَنْ يحفظَ ويَعِيَ ما تعلَّمَهُ ولا يستغنِي عنهُ،
- وعليه أيضا أنْ يركِّزَ على ما يتمَاشَى مع مُستواهُ، وكأنَّهُ يُشِيرُ إلى النَّحوِ التَّعْلِيمي لا العِلمِي الَّذِي هُوَ مِنِ اِخْتِصَاصِ العُلماءِ والبَاحثين.

4 . منهجِ الخليل في منظومته :

كان الخليلُ في منظومته حريصا كلَّ الحرْصِ على الجانب التَّعليمي للمتلقِّي، لأنَّ نظمَهُ مُوافقا للمبتدئين في علم النحو .

أمَّا الدَّارسون المتخصِّصُون الَّذِين يطلبون النَّحو مفصَّلا فعليهم التعمُّقُ في هذا العلم ، والبحثُ في المسائل الخلافية والعِلَلِ النحوية خارجَ منظومة الخليلِ النحوية،

لذلك عمدَ إلى التفريق بينهما : (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 48):

- **المستوى الأول:** مُستوى عوام النَّاس الذين يريدون تعلّم النَّحو، ولا حاجةَ لهم إلى تفصِيلاتٍ، وعلى هؤلاء الحذر والاقتصاد فِي تناول المادَّة النَّحوية، وقد أظهر ذلك في الأبيات الثَّلاثة الأخيرة فِي المنظومة (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 225):

النَّحْوُ بحرٌ ليسَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَعْرُ السَّبِيلِ عُيُونُهُ لا تَنْضُبُ

فَاقصد إذا ما عُمْتَ في آذيّه فَالقَصْدُ أبلغُ فِي الأمُورِ وَأَذْرَبُ

وَاسْتَغْنِ أنتَ بِبَعضِهِ عَنْ بَعْضِهِ وَصُنِ الذِي علِمتَ لا يتشذَّبُ

- **المستوى الثاني:** مُستوى الدَّارس المتخصِّص، وفي هذه الحالةِ لا بُدَّ مِنَ التَّعمق والبحث فِي المسائلِ الخلافيَّةِ والعلل النَّحوية، وعلى هؤلاء أن يَلِجُوا الأعماقَ.

وَيَبْدُو واضحا أنَّ المنظومة جاءت لخطابِ المستوى الأوَّل كما تَمَّتِ الإشارةُ إليه سالِفا.

وفيما يلي **أهمُّ سِمَات التَّأْلِيفِ النَّحوي عندَ الخليلِ فِي مَنْظُومَتِهِ** :(الفراهيدي الخليل بن أحمد، 1995م، ص 48).

أ – جاءت المنظومة بعيدةً عنِ المسائل الخِلافية، كما أنَّ الخليل لم يُعلِّل للقواعد الواردة، ويبدو أنَّهُ كان يُدرك أنَّ المنظومة التَّعليمية يجبُ أن تكون بعيدةً عن الخلافِ والتَّعْلِيلِ(الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 49).

وَقَدْ خَالَفَهُ أصحابُ المنظومات الَّذِين جاءُوا بعده حيث تعددت الآراء بسبب تعدد المدارس النحوية ،فنجد أن ابن معطٍ وابن مالك وغيرهم...؛ كانُوا يذكرون الآراء الرَّاجحة والمرجُوحة ويعلِّلُون ويفسِّرون، ويرجِّحون رأياً على رأي آخرَ مع تقدِيمِ الأسباب والمبرِّرَاتِ.

فابنُ معطٍ الرَّائِد في نظم الألفيات قَدْ عَرَضَ فِي ألفيَّتِهِ رَأْيِ البَصْرِيينَ والكُوفيين فِي أيِّهِمَا الأَصْلُ المصدرُ أم الفعل، قائلا :(بن جمعة عبد العزيز ، 2007، ج 1 / ص 53.)

واشــتق كوفِيُّــون أيضــا المصــدرَا مـنْ فِعْلِـهِ نحـو نظـرْتُ نظـرَا

واشــتَقَّ منــه الفعــلَ أهــلُ البصــرة ذا الــذي تَلِيــقُ بِــهِ النُّصــرة

إذ كُـل فـرع فيــه مــا فِــي الأصــلِ وليس فِي المصدر مَا في الفعلِ

فنراهُ يعرض الرَّأيَ الكوفي، ثم الرَّأيَ البصري، ويقول: وهو الذي يليق بالإنسان أَنْ يَنْصُرَهُ، ويعلِّلُ ذلك؛ لأن كلَّ فرع فيه ما في الأصل... (بن جمعة عبد العزيز ، 2007، ج 1 / ص 54.).

ب – اهتمَّ الخليلُ بالقاعدة النَّحوية والتَّمْثِيلِ لها، لكنَّهُ لم يهتمَّ بالشَّاذ الخارج عن القاعدة، ، وهذا المنهجُ الذي اتّبعه الخليلُ رَاعَى فِيهِ أنَّ طَالِبَ النَّحْوِ المبتدِيء ليسَ فِي حاجةٍ إلى الشَّاذِّ الخارجِ عنِ القاعدة، فالأفضلُ أَنْ يَقْتَصِرَ الأمرُ على أَصْلِ القاعدةِ دُونَ خرُوجٍ عَنْهَا (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 49) ، كقوله (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 198).:

النَّحْـوُ رَفْـعٌ فِـي الكـلام وبعضُـه خَفْضٌ، وبعضٌ في التَّكَلُّمِ يُنصَبُ

زيـدٌ وعمـرو إن رفعـتَ، ونصـبُه (زيـدًا) وَخفضُـهُمَا بكسـرٍ يُعـرب

والدارس للبيتين يلاحظُ أنَّ الخليل قدِ انتهجَ طريقة الاستنتاج ، وهي انتقالُ الفكر من الحقائق العامة إلى الحقيقة الجزئية، أو من الكُلِّ إلى الجُزْءِ (صالح ذياب هندي، 1995م ، ص 190).

ج – لم يهتمَّ الخليلُ بالجُزْئِيَّاتِ النَّحويَّةِ أَوِ التَّفريعَات والتَّقْسِيماتِ، وانصبَّ اهتمامُهُ عَلَى ذكر القاعدةِ العامَّةِ دُون ذِكْرِ تفصيلاتِها، وهذا النَّهْجُ به بعض الصُّعُوبَاتِ لطالب النَّحْوِ إلا إِذَا استعانَ بِمُعلِّمٍ يُفَسِّر ويوضِّحُ ما جاءَ من أمثلةٍ يُغَطِّي كثيرًا مِنْ تَفْرِيعَاتِ القَاعدةِ (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 49). كقوله فِي باب الاستثناء(الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 234 و235):

وانْصِـب إذا اسـتثنيت إِنْ أَخْرَجْتَـهُ عـن فعلِـهِ فِيمَـا يحـدُّ ويوجَـبُ

فتقـول: قَـدْ هَزِلَـتْ خُيُولُـك كلُّهـا إلا الكُميـتَ فإنَّـهُ لا يُركَـبُ

وإذا أَتَـى بعـدَ الجحُـود فإنَّـهُ يُعطـى مِـنَ الإعـرابِ مـا يَسْـتَوْجِبُ

لـم يـأتِ مِـنْ إِبِـل العشِـيرَةِ كلِّهـا مِـنْ رَعيهَـا إلا البَعِيـرُ الأصْـهَبُ

مـا جـاءَ غيـرُ محمَّـدٍ بـل قـد أَتَـوا غيـرُ الوليـدِ فَإِنَّـهُ يُسْـتعتَبُ

- فنظمُ الخليل في هذه الأبيات مختلفٌ – طبعا – عن نظمِ ابن معط ، وابن مالك ، لأنه حرص كل الحرصِ على الإكثار منَ الأمثلة، وتَمَكنَ ببراعته أن يجمعَ باب الاستثناء في

أبيات قليلة من النظم ؛ حتى يسهُلَ على طالبِ العلمِ الجمع بينَ القاعدة والنحوية والمثال، لاستحضارها عند الحاجة .

وَيُمكن مقارنةُ تراجيز النصوص قديما، بعمليات برمجة النصوص واختزانها في الحاسب الآلي في عصرنا. فإذا كان اختزان المعلومات في الحاسب الآلي يستلزم التَّحويلَ مِنْ لُغَةٍ طبيعية مقروؤة للإنسان، إلى لغة صناعية (Artificial language)،أو لغة البرمجة (programming language) بحيث يستوعب المخزون المبرمج في ذاكرة خارجية للحاسب الآلي، فيمكنُ بالمقابل أن تعتبر أَنَّ نظم النصوص، أو ترجيزها نوعا من برمجة النصوص وتحويلها إلى لغة تيسر اختزان المعلومات في ذاكرة الإنسان الداخلية (سعد محمد الهجرسي، 1980، ص : 15– 17)عن طريق الحفظ .(كمال عرفات نبهان، 199، ص : 193) .

د – تركَ الخليل أبوابا نحوية مثل باب الحال، أنواع المعارف، الاشتغال، التَّنازع، العدد وكناياته، أسْماء الأفعال، التَّمييز، الإضافة؛ مع أنَّهُ أشار إلى بعضِها عَرَضًا في بعض الأحيان مثل: التَّعْرِيف و التَّنكير، أو مثَّلَ لبعضها على سِياقات أخرى، مثل: الإعراب والبِناء، الإعراب الأصلي والإعراب الفَرْعِي بأشْكَالِهِ المختلِفة، فهذه القواعد النَّحوية لم تُذكر مفصَّلة (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 50)، وقد ورد الحالُ عَرَضًا في باب الفاعل والمفعُول به، حيثُ قال الخليل(الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 202):

ورأيت عبد الله يضرب خَالد وأبُو المغيرة فِي المدينة يُضرَبُ

ولقيت زيدا راكبا وأخَالَه تجْرِي بِه وجنَاء جرف ذِعلبُ

(الوجناء: ابن فارس ، ص743– 744. ينظر الإحالات، التعليق رقم 5)

(جرف: الفيروزآبادي، 2008 م، ص716. ينظر الإحالات، التعليق رقم 6).

(الذِّعْلَبَةُ، و**الذَّعْلَبُ:** الفيروزآبادي، ص 80. ينظر الإحالات، التعليق رقم 7).

- إنَّ تركَ الخليل هذهِ الأبواب النحوية ليس عنْ جهلٍ وعدمِ مقدرةٍ، بل عنْ وعي وإدراكٍ وفهمٍ؛ فهو قد تلقَّى معلوماتِ أبي عمرو بنِ العلاء في المسموع، ومعارف ابن أبي اسحَاق الحضْرَمِي في المقاييس النحوية، وهو أستاذُ سيبويه صاحب الكتاب؛ لكنه آثر أن يذكرَ مايهمُّ المتعلِّم الشادي، لا المتخصِّص الباحث .

هـ – جاء أسلوب الخليل سهلا ميسرا بعيدا عنِ الالتواء والتَّعْقِيد؛ لأنَّه كان واضحا فيما هدف إليه منَ القواعد العامَّةِ، كما كانت أمثلته معبِّرة عن معانٍ ودلالات مقصودة (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 50) ، كقوله في باب الأمر والنهي بالنون الخفيفة والثقيلة : (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 218).

والأمرُ بالنون الخفيفة فاعلمنْ والنَّهيُ أصعب فِي الكلام وأعزَبُ

لاتعصــيَنَّ الله واطلُــبْ عفــوَه لا تشـربنَّ خمـرًا فبـئْس المشْـرَبُ

(**أَعْزَبُ** : القاموس المحيط، ص:106. ينظر الإحالات، التعليق رقم 8).

وإن هذا الوضوحَ في الأسلوب سمةٌ غالبة في جميع المنظومات التعليمية، لأنَّ الغرض من هذا النظم هو تيسيرُ حفظ القاعدة النحوية للأغراض التَّعليمية .

و – صنع الخليل مقدمةً لمنظومته، واستطاع من خلالها أن يُمَهِّدَ نفسيةَ المتلَقِّي لقَبُولِ علم النحو الذي يتسم – عند البعض – بالصعوبة (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 53).

- وقد سار على هذا المنوال أصحاب المنظومات التعليمية في علوم اللغة العربية، كالحريري في ملحته، وابن معط ، وابن مالك في ألفيتيهما.

يقولُ الحَرِيري في مقدمةِ منظومته التي بدأها بحمد الله تعالى، والسَّلام على نبيه محمد – عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آل بيته الأطهار الذين هم خير آل (القاسمُ بن علي الحريري، 1325هـ – 1907م ، ص: 2) :

أقــــولُ مِـــــن بَعــــدِ افتِتَـــــاحِ القـــــولِ بِحمــــــدِ ذي الطَّـــــوْلِ شـــــديدِ الحَـــــولِ

وبَعــــــــدَهُ فأفضَــــــــلُ السّــــــــلامِ علـــــــى النّبـــــــيّ سَـــــــيّدِ الأنَـــــــامِ

وءالِـــــــــهِ الأطهَـــــــارِ خيـــــــــرِ ءالِ فـــــافهَم كَلامـــــي واســـــتَمِعْ مَقَـــــالي

وقال ابن معط في مقدمة ألفيته التي بدأها بحمد الله تعالى، والصلاة والسَّلام على نبيه محمد – عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله وأصحابه الكرام (بن جمعة عبد العزيز، 1985، ج 1 / ص 173 – 181):

يَقُـــــولُ رَاجِـــــي رَبِّـــــهِ الغَفُـــــورِ يَحْـــيَ بْـــنُ مُعْـــطٍ بْـــنِ عَبْـــدِ النُّـــورِ

الْحَمْـــــدُ لِلـــــهِ الَّـــــذِي هَـــــدَانَا بِأَحْمَـــــدٍ دِينًـــــا لَـــــهُ ارْتَضَـــــانَا

فَلَـــمْ يَـــزَلْ يَنْمِـــي بِـــهِ الإِسْـــلاَمُ حَتَّـــى اسْـــتَبَانَتْ لِلْهُـــدَى أَعْـــلاَمُ

مُؤَيِّـــدًا مِنْـــهُ بِخَيْـــرِ الْكُتُـــبِ وَحْيًـــا إِلَيْـــهِ بِلِسَـــانٍ عَرَبِـــي

لِكَوْنِـــهِ أَشْـــرَفَ مَـــا بِـــهِ نُطِـــقْ كَمَـــا الرَّسُـــولُ خَيْـــرُ مَخْلُـــوقٍ خُلِـــقْ

صَـــلَّى عَلَيْـــهِ اللهُ ثُـــمَّ سَـــلَّمَ وَ آلِـــهِ وَ صَـــحْبِهِ وَ كَرَّمَـــا

وسار على نهجهما ابن مالك في ألفيته التي افتتحها أيضا بحمد الله تعالى، والصلاة السَّلام على نبيه محمد – عليه أفضل الصلاة والسلام –، وعلى آله المستكملين الشرف(محي الدين عبد الحميد،1980م، ص 10):

قَـالَ مُحَمَّـد هُـوَ ابـنُ مَالِـكِ أَحْمَـدُ رَبِّـي اللَّـهَ خَيْـرَ مَالِـكِ

مُصَـلِّيَاً عَلَـى النَّبِـيِّ الْمُصْـطَفَى وَآلِـهِ الْمُسْـتَكْمِلِينَ الْشَّـرَفَا

– ظهر فِي المقدِّمَةِ ثقة الخليل بنفسه عندما قال: (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 50):

إني نَظَمْتُ قصيدةً حبّرتُها فيها كلامٌ مُونِقٌ وتَأَدُّبُ

لذوي المروءة والعقولِ ولم أكن إلا إلى أمثالهم أتقرَّبُ

عربيةً لا عيبَ فِي أبياتِهَا مثل القَنَاةِ أُقيمَ فيها الأكعبُ

- فالناظم قَدْ وسمَ منظومته بالقصيدة،لأنها اتسمتْ بأمثلتها الغزلية، ومعانيها الرقيقة، وابتعادها عنِ الأسلوب الجاف الذي يحكمُ المنظومات النحوية غالبا(الفراهيدي الخليل بن أحمد، 1995م، ص49).

وقد ظهر فِي المقدِّمة أيضا ظُرف الخليل وفكاهته، كما ظهرتْ قُدرته البارعة على الانتقالِ الهاديء السَّلِسِ من المقدِّمة إلى الموضوع الأول عندما قال(الفراهيدي الخليل بن أحمد، 1995م، ص53):

فَـإِذَا نَطقـتَ فـلا تَكُـنْ لحّانـةً فيظَـلُّ يَسْـخَرُ مـن كَلامِـكَ مُعْرِبُ

النَّحْـوُ رَفْـعٌ فِـي الكَـلامِ وبَعْضُـه خفضٌ وبعضٌ في التَّكَلُّمِ يُنْصَبُ

- فقبل أن يذكُرَ أوَّلَ قواعده طلبَ من المتلقِّي أن يكون حذِرا عند النُّطق ؛حتَّى لا يلحنَ فيثير سخريةَ الآخرين، وقد صدق إسحاق بن خلف البهراني في قوله (محمد الطنطاوي،1973م، ص 04):

النحـوُ يبسـطُ مـن لسـانِ الألكـنِ والمـرءُ تُكرمـه إذا لـم يلحَـنِ

وإذا طلبـتَ مـنَ العُلـوم أجلهَـا فأجلهـا مِنهـا مُقـيمُ الألسُـنِ

ثم انتقلَ بعد ذلك انتقالا مُبَاشِرا إلى الحديث عنِ القواعدِ النَّحوية التي بدأها بدايةً طبيعيَّة بمعرفة أواخرِ الكَلِم قبل تناول الأبواب النحوية التي استفتحها بباب رفع الاثنين .

- وكذلك كان الخليل بَارِعًا فِي خِتَام قصيدته عندما قال فِي خِتَام الحديث عنِ القواعد النَّحوية (الفراهيدي الخليل بن أحمد ، 1995م، ص 51):

-

النَّحــو بحــرٌ لــيس يُــدْرَكُ قَعْــرُه وعــرُ السَّــبِيل عيونُــهُ لا تَنْضُــبُ

فاقصــد إذا مــا عُمْــتَ فــي آذيّــه فالقصــدُ أبلــغُ فــي الأمــورِ وأدرب

واسْـتَغْنِ أَنْـتَ بِبَعْضِـه عَـنْ بَعْضِـهِ وَصُــنِ الــذي علمــتَ لا يتَشَــذَّبُ

فالخليلُ يُشِير إلى أَنَّ النَّحو بحرٌ عميقٌ، وطريقه وَعْرٌ، وعيونه فيَّاضة فعلى من يقترب منه أن يكون حذِرا، وعلى متعلِّمِ النحو أَنْ يَقْتَصِدَ في بداية أمره؛ حتى لا تُطيحَ به الأمواجُ العاتية، ويجب أن يَأْخُذَ منه المتلَقِّي بالقدر المناسب تدريجيا، وهذه سِمَةُ المعلِّم الحقيقي الذي يجدر به أن يكون مُرشدا لطلابه في كيفية تناول القواعد، لا أَنْ يقدِّمَ له فقط (الفراهيدي الخليل بن أحمد، 1995م، ص 51)، دون فهمٍ أو شرح، أو تحليل.

5 . مكانة الخليل بين علماء النحو واللغة:

إِنَّ الخليل عالمٌ فذٌّ جمع ثروة ضخمةً من علوم اللغة، اكتسب أصولها باستيعاب كُلِّ ما استطاع أن يسمعَ، ونمَّاهَا بتفكير أتاح له أن يستنبط مالم يسمعْ. لقد تلَقَّى معلومات أبي عمرو بن العلاء في المسمُوع ، ومعارف ابن أبي اسحاق الحضْرَمي في المقاييس النحوية (محمد المختارولد أباه، 2008 ،ص : 79).

وما يُؤْسَفُ له أَنَّهُ « لَمْ يَبقَ للخليل من أعماله الإبداعية إلا علمُ العروض الذي حاول الأخفش الأوسط أن يشاركه فيه، ومع هذا فلم يَسَعِ الجميعُ إلا الإجماع على أَنَّ الخليلَ هو إمامُ النحو، وأَنَّ النَّحو هو علمُ الخليل...» (محمد المختارولد أباه، 2008 ،ص: 79)،

ولقد لقِيَ الخليل تقديرا وإكبارا بمركزه العلمي منَ الأدباء واللُّغويين المتقدمين، فهذا ابن المقفع يقول :

« لقيت فيه رجلا عقله أكبر من علمه ». (الفراهيدي ، 2002 ،ج1، ص : 10)

وهذا خلف بن المثنى يُخْبِرُنَا أَنَّهُ « كان يجتمع في البصرة في مجلس عشرةٌ لا يُعرف مثلهم ،أولهم: الخليل بن أحمد صاحب العروض، وابن نظير متكلم، وبشار بن برد الشاعر...إلخ » (يوسف بن تغري بردي، 1963، ج2 ، ص 29)

ومدحهُ:حمزة بن حسن الأصبهاني بقوله: « إِنَّهُ لم يكنْ للمُسلمين أذكى عقلًا مِنَ الخليل، ويكفينا دلالة على تَفَوُّقِ الخليل في العُلوم الإسلامية أنه تخرَّجَ على يديه ثلاثةٌ هم أئمةٌ في فنونهم أوَّلُهُم :سيبويه في النحو، وثانِيهم: النضر بن شميل في اللُّغة ، وأما الثالثُ فهو: مؤرج السدوسي في الحديث ».(الفراهيدي ، 2002 ،ج1، ص : 10)

فقال ابن قتيبة في المعارف: « كان الخليل ذكيا، لطيفا، فطنا، واتفق العلماء على جلالته وفضائله، وتقدمه في علوم العربية من النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، وهو السابقُ إلى ذلك المرجُوعُ فيه إليهِ، وهو شيخُ سيبويه إمامُ أهل العربيةِ، وكان الخليلُ ورِعًا ».(النووي، مج1، ص :178).

وقال الواحدي:« الإجماع منعقد على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل» (ابن حبان، 1973، 230/8) .

وقال السيرافي:« كان الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو وتعليله » (ياقوت الحموي، 1261/3).

وقال الذهبي : « الخليل الإمامُ، صاحب العربية، ومُنشيء علم العروض، أحد الأعلام...

أخذ عنه سيبويه النحو، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى النحوي، ووهب بن جري، والأصمعي ، وآخرون. وكان رَأْسًا في لسان العرب، دَيِّنًا، وَرِعًا، قانعا، متواضعا، كبير الشأن... وكان هو وَيُونس إمامَيْ أهل البصرة في العربية، ومات ولم يُتْمِمْ كتاب العين، ولاهذَّبه، ولكنَّ العلماء يَغرِفُون من بحره» (الذهبي ،1985 م، ج 7 / 429 – 430) .

ولقد عرفَ الباحثون المتأخرون قَدْرَ الرجلِ الذي «وضع للنحو العربي أصولَهُ، وقعَّدَ قواعِدَهُ، وجَعَلَهُ عِلْمًا واضحَ المعالم والسِّمات ».(عبد الحسين محمد وآخرون ، ص : 17) .

ولعلَّ هذا ماعناهُ الباحث فؤاد اليزيد السني بقوله: « إذا كان "الكِتاب" كله مختصَر ما قالهُ الخَليلُ، فكيف يُمكنني في أسطُر أن أكتب عَن مُساهمته في تاريخ النحو؟

والحلّ الذي أقترحهُ هو أن أذكُر نقط معينة فقط؛ توضِّح أهم إسهاماته دُون الدخول في كثرة الأمثلة :

أ– هو الذي وضعَ الأصولَ، والقواعدَ العامة للنحو والصرف؛ بأبوابها ومُصطلحاتها التي لازلنا نستعملُها حتى اليَوم.

ب– هو الذي وضع مُصطلحات « الرفع»، و « النصب»، و« الخفض» للكلمات المُعربة تَمييزا لها عن مُصطلحات « الضم»، و«الفتْح »، و«الجر» التي خصَّصها للكلماتِ المبنية .

ت– هو من اعتبر أنَّ «ـَانِ» و «ـَيْنِ» في المُثنّى، و «ـُونَ» و «ـِين» في جمع المُذكَّر السالم ، (أنّها) حروفا للإعراب مثل الفَتحةِ و الضمة والكسرة ، في المُفرد وجمع التَّكسير.

ث– هو منِ اخترعَ المِيزان الصَّرفي العربي وأوزانه، وتكلَّم عن المُجرَّد و المَزيد و جعله ثلاثيا أو رُباعِيا أو خُماسيا.

ج– هو منْ جمعَ الحُروفَ الزائدةَ عنِ الجذر في كلمة « سَأَلْتُمُونِيهَا » .

ح– هو منْ وضعَ قواعدَ الإعلالِ التي تسمَحُ لنا الآن بتصريف كل الأفعالِ المُعتلّة، و ما أكثرَها في العربية، بدقة مُتناهية تفقِدها مُعظمُ لغاتِ العالم.

خ- هو منْ تحدَّث عنِ «النحت» في العربية بأمثلة بسيطةٍ، وكيف أنّ بعضَ الكلمات العربية أصلُها كلمتان ضُمَّتا إلى بعض: لَنْ = لاَ + أنْ. قبل أنْ تسقُط الهمزة للتَّخفيف ثم الألف لالتقاء الساكِنيْن.

د- هو صاحِبُ «نظرية العامِل» بعد أنْ لاحظ أنّ كل تَغيير في الإعراب لا بُدَّ له مِنْ سَبب. وهكذا جمع أدواتِ نصب الفِعل مع بعضها وسمَّاها « نَواصب الفعل». و أخرى لها نفس التَّأثير على الأسماء سمّاها « نَواصِب الأسماء»، وأخرى تجزِم الفِعل سمّاها«جَوازِم الفِعل»،وأخرى تجُرُّ الأسماء سمَّاها « حُروف الجَرّ»...

ذ- الخليلُ مَذكورٌ في «الكِتاب» 720 مرَّة، وهذا يكفِي لتوضيح مكانتهِ في بناء الصَّرح العِلْمِي للنحو العربي الذي اكتملَ بشكل شِبْه نهائي على يديه، و ليْس على يدي تلميذه «سيبويه»، كما هو شائِعٌ بيْن الناس. (فؤاد اليزيد السني، يونيو 2012www.diwanalarab.com) .

ومُوجزُ القول : إنَّ الخليل قد تركَ ما لا يُمكن لأيِّ باحثٍ فِي علمِ العربِيَّة الاستغناء عنه؛ ألاوَهْوَ الكتابُ الذي نقلَهُ سيبويه عنه، وأخرجهُ إلى النَّاس بعدَ أن قَام بترتيب أبوابه وتجلِيده،« دون مقدمة أو خاتمة ؛ لكن النَّاسَ نَسَبُوهُ إليه، ولم يَدَعُوا للخليل إلا جميل الذكر والثناء».(محمد المختارولد أباه، 2008 ،ص : 79)، وكانَ الأجدر بسيبويه أنْ يَنْسِبَ بعضَهُ بل مُعظمَه إلى أستاذِهِ الخليل – رحمه الله – حِفَاظًا على الأمانةِ العلمِيَّة؛ وكذَا مُعْجَمُ العَيْنِ الَّذِي لَمْ يُتِمَّه أَيْضًا؛ والذي بفضلهِ تَبَوَّأَ مكانةً مَرْمُوقَةً؛ ألاوهِيَ: مَؤسِّسُ المدرسةِ الصَّوتية عندَ العربِ، حيثُ قَام « بِتَقْسِيم الأصْوَاتِ اللُّغويَّةِ، وتحديدِ مخارِجِهَا معتمدًا علَى حِسِّهِ الصَّوْتِي الَّذِي سار عليهِ عددٌ منَ العُلَمَاءِ مُتَّخِذِينَ منهُ منهجًا مكوِّنين بذلِكَ مَدْرَسَةً صوتيةً خاصَّةً بِهِمْ عُرِفَتْ عِنْدَنَا: بـ (مدْرَسة المعجمِيِّين الصَّوْتِيَّة)، (جبر محمد عَلاء، 2006م، ص 4 - 19) .

وأضحَى بذلك مصدرَ الدِّرَاسَاتِ اللُّغوِيَّة والصُّوتِيَّة الحدِيثة.

6.خاتمة:

وبعدَ هذهِ القراءةِ في المنهج الذي اعتمدهُ الخليل في المنظُومة النحوية المنسوبة إليه، خَلُصتُ إلى النتائج التالية :

أ. إنَّ المنظوماتِ وسيلةٌ ناجحةٌ مِنْ وسائلِ التعليم، وحَمْلِ التراثِ النحوي .

ب. إدراكُ الخليل أهميةَ النظم ودورَه في حفظِ المعارف، وسُرعة استحضارها عندَ الحاجة .

ج. إنَّ الخليلَ كان بارعا عندما صنع مقدمةً لمنظومته، واستطاع من خلالها أن يُمَهِّدَ نفسيةَ المتلَقِّي .

د. ظهرَ فِي المقدِّمة ظُرفُ الخليل وفكاهته، كما ظهرتْ قُدرته البارعة على الانتقالِ الهاديء السَّلِسِ منَ المقدِّمة إلى الموضُوع.

هـ. سُهولة عرْضِه القضايا النَّحوية في أسلوبٍ واضح بعيدٍ عنِ الجدل النَّحوي.

و. حِرصُ الخليل في منظُومته كلَّ الحرْصِ على الجانب التَّعليمي للمتلقِّي.

ز. مُطالبةُ المتعلِّمِ بأَنْ يحفظَ ويَعِيَ ما تعلَّمَهُ؛ وألا يستغنِي عنهُ، مع التركيز على ما يتمَاشَى مع مُستواهُ، وكأَنَّهُ يُشِيرُ إلى النَّحوِ التَّعْلِيمي، لا العِلمِي.

ح. مطالبةُ المتلَقِّي أن يأخذَ منه بالقدر المناسبِ تدريجيا، وهذه سِمَةُ المعلم الحقيقي الذي يكون مرشدا لطلابه في كيفية تناول القواعد.

ط. – مطالبَةُ المتلقِّي بالحذر عند النُّطق؛ حتَّى لا يلحنَ فيثير سخريةَ الآخرين.

ي. – اهتمامُ الخليلُ بالقاعدة النَّحوية، والتَّمْثِيلِ لها؛ لكنَّهُ لم يهتمَّ بالشَّاذ الخارج عن القاعدة.

ك. عدمُ اهتمامِ الخليلُ بالجُزْئِيَّاتِ النَّحويَّةِ أَوِ التَّفريعَات والتَّقْسِيماتِ، واهتمامُهُ بالقاعدةِ العامَّةِ دُون ذِكْرِ تفصيلاتِها.

ل. ضمّتْ منظومةُ الخليل الكثيرَ من أبواب النَّحو العَرَبِي وتركتِ القليلَ مِنْهَا مثل: باب الحال، أنواع المعارف، الاشتغال، التَّنازع، العدد وكناياته، أسْماء الأفعال، التَّمييز، والإضافة؛ مُرَاعَاة لمستوى طَالِبِ النَّحْوِ المبتدِيء .

م. جاء أسلوبُ الخليل سهلا ميسرا بعيدًا عنِ الالتواء والتَّعْقِيد؛ كما كانت أمثلتُه مُعبِّرةً عن معانٍ ودلالاتٍ مقصُودةٍ.

ن. إنَّ الخليلَ لم يعلِّلِ للقواعد الواردة، ويبدُو أنَّهُ كان يُدرك أنَّ المنظومة التَّعليمية يجبُ أن تكون بعيدةً عنِ الخلافِ والتَّعْلِيلِ.

س.سمَّى الخليلُ منظُومته قصيدةً؛ لأنَّها تكشف عنْ شاعِرية الخليل، بأمثلتها الغزلية، ومعانيها الرقيقة، وابتعادها عنِ الأسلوب الجاف الذي يَحْكمُ المنظوماتِ النحويةَ غالبا .

ع. إنَّ منظومةَ الخليل لم تلقَ رواجا بين طلبة العلم سواء الناشئين، أو المتقدمين كمُلحةِ الإعراب للحريري البصري، وألفيةِ ابن مالك الأندلسي؛ رغمَ تقدمِها الزمني .

7.**الإحالات :**

1 النقد والانتقاد: تمييز الدَّراهم وغيرها، وقد تكون **انتقاءً** من: **انتقاه:** [أَيْ]: اِخْتَارَهُ. السيوطي، المزهر، د ت، ص211.)

2 المائق: الهالك حمقا وغباوة، الفيروزآبادي،[موق]، د ت، ص 832) ، الحموي ياقوت، 1993، ص 1264).

3 (الشيء **الذَّرِبُ:** الحادّ، يقال: لسان ذَرِبٌ وسيفٌ ذَرِبٌ، الرّازي، 1414هـ، ص 268.)

4 (**الشَّذْبُ:** قشر اللحم، وكلّ شيء نحّيته عن شيء فقد شذبته. الرّازي، 1414هـ، ص 402.)

5 (**الوجناء:** النّاقة العظيمة الوجنتين، ويقال هي الصُلبة، (**ابن فارس**، مجمل اللغة، ص743- 744.)

6 (**جرف:** الجرف بالجيم فهي تستخدم بمعنى النّاقة الشّديدة العظيمة، أو الضّامرة المهزولة، الفيروزآبادي، 2008 م، ص716.).

7 (الذِّعْلَبَةُ، و**الذِّعْلَبُ:** الناقة السريعة، الفيروزآبادي، ص 80.)

8 (**أَعْزَبُ**،أي: أَبْعَدُ وأَذْهَبُ. ينظر: القاموس المحيط، ص:106.)

8 – المصادر والمراجع

1) الإطار العام للمكتبات والمعلومات: أو، نظرية الذاكرة الخارجية، سعد محمد الهجرسي، مطبعة جامعة القاهرة، 1980 .

2) بُغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد عبد الرحيم،دار الفكر، بيروت– لبنان، ط: 1، 1425هـ/1426هـ . 2005م.

3) البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تصنيف مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب الفيرُوزآبادي،اعتنى به وراجعه، بركات يُوسف هَبُّود، المكتبة العصرية، صيدا.بيروت، ط1، 1422هـ–2001 م.

4) تاريخ العربية، الدكتور: عبد الحسين محمد وآخرون، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل .

5) تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 2 ، 2008 .

6) تهذيب الأسماء واللغات،أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي، تعليق شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، طبعة : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

7) الثقات، لابن حبان، أشرف عليه : الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، طبعة : دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ط1، 1393 هـ – 1973 م .

8) دراسات في المناهج والأساليب العامة، صالح ذياب هندي، وهشام عامرعليان، دار الفكر، عمان – الأردن ، ط6 ، 1995م .

9) سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1405 هـ – 1985م.

10) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محي الدين عبد الحميد ، دار التراث – القاهرة ، ط20، 1980م – 1400هـ .

11) شرح ألفية ابن معطي، لعبد العزيز بن جمعة ، تحقيق ودراسة، الدكتور/ علي موسى الشوملي، دار الخريجي – الرياض، ط1، 1985 م – 1405 هـ .

12) شرح ألفية ابن معطي، لعبد العزيز بن جمعة ، تحقيق ودراسة، الدكتور/ علي موسى الشوملي، دار البصائر – الجزائر، ط1، 2007 .
13) العقد الثمين في تراجم النحويين، تأليف شَمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق :الدكتور يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع 1425 هـ –2004 م.
14) العلاقات بين النصوص في التأليف العربي، كمال عرفات نبهان، العربي للنشروالتوزيع،القاهرة، 1993م
15) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر، بيروت – لبنان، (د.ط)،1429 هـ – 2008 م.
16) الاقتراحُ فِي عِلْمِ أُصُولِ النَّحو، تأليف الإمَام الحافظ جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيُوطي، تَحْقِيق: مُحَمَّد حسن إسْمَاعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ– 1998 م.
17) كتاب العين، تصنيف : الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق : الدكتورعبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ – 2002م .
18) كتاب مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازي، تَحْقِيق الشَّيخ شِهَاب الدّين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت– لبنان،(دط)، 1414هـ– 1494م.
19) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت – لبنان، د ط، 1982م.
20) اللُّغة بين المعياريَّة والوصفِيَّة، الدُّكتُور تَمَّام حَسَّان، عالم الكتب، القاهرة، ط 4، 1427 هـ – 2006 م.
21) المدارسُ الصَّوْتِيَّةُ عندَ العَرَبِ النَّشْأَةُ وَالتَّطَوُّر، الدُّكتور عَلاء جبر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ – 2006م.
22) مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت – لبنان، ط 1 ، 1423 – 2002م.
23) المزهر في علوم اللغة العربية، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي،شرحه وضبطه وصحَّحَهُ وعَنْوَنَ موضُوعَاتِهِ وعلَّقَ حَوَا شِيَهُ، محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل– بيروت، دار الفكر، بيروت– لبنان.
24) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط :1، 1414 هـ – 1993م .
25) مقدمة في النحو، خلف بن حيان الأحمر البصري، تحقيق : عز الدين التنوخي ، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم – دمشق ، 1381 هـ – 1961 م .
26) ملحة الإعراب، تأليف: القاسم بن علي الحريري البصري، مطبعة السعادة ، مصر، ط1 ،1907 م – 1325هـ .

27) المنظومة المنسوبة للخليل بن احمد الفراهيدي، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد عفيفي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:1، 1416هـ - 1995م.
28) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.
29) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي ، دار المعارف - القاهرة، ط5 ، 1973 م .

المقالات :

- رشيد بلحبيب، 1412 هـ – 1991 م ، ملاحظات حول بناء القاعدة النحوية بين أصلي السَّمَاعِ والقِيَّاس، مجلة المنعطَف، عدد 2، وجدة – المغرب .
- عبد الله بن عويقل السلمي، 1420هـ،المتون والشروح والحواشي والتقريرات في التأليف النحوي، مجلة الأحمدية ، العدد الرابع ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي.
- محمد جمال صقر،2009 م، المنظومات النحوية العمانية بين المنظومات النحوية تأريخ ونقد، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 17/16 .

المواقع الالكترونية :

- فؤاد اليزيد السني، الخميس 07 حزيران (يونيو) 2012، تاريخ النحو العربي إلى نهاية القرن الثاني/ الثامن، ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب .https://www.diwanalarab.com